بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة دينية

فضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد عبد الغني



بعنوان :

كيف الطريق إلى القدس؟

منهج شرعي في بناء الأمة ونصرة فلسطين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر المستضعفين، ومجيب دعوة المضطرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد:

أيها الأحبة، إن الحديث عن القدس وفلسطين ليس حديثًا عن أرض نحبها، أو مقدسات نشتاق إليها، أو مآسٍ تؤلم قلوبنا فحسب؛ بل هو حديث عن أمة، وعقيدة، ومنهج، ومسؤولية، وعن طريق ينبغي أن نعرف معالمه، ونفهم سننه، ونأخذ بأسبابه.

لقد تعلقت قلوب المسلمين بالمسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث المساجد التي تُشد إليها الرحال، وازدادت هذه المكانة رسوخًا بما ورد في القرآن الكريم عن رحلة الإسراء، قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا ليس: كم نحب القدس؟ وكم نتألم لما يجري في فلسطين؟ وإنما السؤال الأعمق هو :كيف يتحول هذا الحب إلى طريق، وهذا الألم إلى مسؤولية، وهذه المسؤولية إلى عمل يغيّر واقعنا ويخدم قضيتنا؟

إن الطريق إلى القدس لا يُختصر في شعار يُرفع، ولا في عاطفة تشتعل ثم تخبو، ولا في عمل منفرد ينقطع أثره بانقطاع صاحبه؛ بل يحتاج إلى منهج متكامل، يبدأ من العقيدة، ويمر ببناء الإنسان ووحدة الصف والإعداد، ويقوم على بذل الوسع في النصرة المشروعة، ويستمد العون من الله بالدعاء والتوكل، ويحفظ العمل من الضياع بالإخلاص وصحة المنهج.

ومن هنا سيكون حديثنا في هذه المحاضرة عن ستة معالم:

1. كلمة التوحيد: الأساس الذي تبدأ منه النهضة.
2. توحيد الكلمة: من التفرق إلى الاجتماع على الحق.
3. الإعداد: الأخذ بأسباب القوة والتمكين.
4. الجهاد: بذل الوسع في نصرة الحق وفق المنهج الشرعي.
5. الدعاء والتوكل: صلة القلب بالله مع الأخذ بالأسباب.
6. الإخلاص وصحة العمل: حتى لا تذهب الجهود سدى.

المحور الأول: كلمة التوحيد؛ الأساس الذي تبدأ منه النهضة

إن أول الطريق إلى القدس يبدأ من إصلاح الإنسان الذي يحمل قضية القدس، وبناء الأمة التي تريد نصرتها؛ وهذا يبدأ من التوحيد.

فكلمة التوحيد ليست مجرد لفظ ينطق به اللسان، بل هي إيمان بالله، وإخلاص له، وعبودية لا تصرف إلا له، واتباع لرسوله ﷺ، واستقامة على شرعه.

قال الله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

وقال سبحانه:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 55].

إن التوحيد يصنع الإنسان الذي يعرف غايته، ويزن أعماله بميزان الشرع، فلا تتحكم فيه الأهواء، ولا تستعبده المصالح، ولا تدفعه الحماسة إلى تجاوز حدود الله.

والأمة التي تريد أن تنهض لا يكفي أن تمتلك الشعارات؛ بل تحتاج إلى أفراد صادقين، يؤدون الأمانة، ويحفظون الحقوق، ويتركون الظلم، ويتقنون أعمالهم، ويقدمون المصلحة العامة على الأهواء الشخصية.

فكيف نطلب العدل لفلسطين ونحن لا نقيم العدل في بيوتنا وأعمالنا؟ وكيف نطالب الآخرين باحترام الحقوق ونحن نهمل حقوق بعضنا بعضًا؟ وكيف نطلب من الأمة أن تنهض ونحن لا نبني الإنسان الذي يحمل مسؤولية النهوض؟

إن إصلاح العقيدة لا ينفصل عن إصلاح السلوك، والإيمان لا ينفصل عن العمل الصالح، والتقوى لا تنحصر في الشعائر، بل تظهر في الصدق والرحمة والعدل وأداء الحقوق.

ولا يعني ذلك أن كل تقصير فردي هو السبب المباشر في كل ما يصيب الأمة، أو أن صلاح الأفراد وحده يكفي لتغيير الواقع؛ وإنما المقصود أن بناء الإنسان الصالح جزء أصيل من بناء الأمة القادرة على أداء مسؤولياتها.

فالطريق إلى القدس يبدأ من توحيد الله، لكنه لا يتوقف عند النطق بكلمة التوحيد؛ بل يمتد إلى بناء الإنسان الذي يترجم إيمانه إلى عبادة وأخلاق وعمل ومسؤولية.

فلن يحررَ الْقُدْس الملايين الَّتِي جعلت العلمانية والديمقراطية قبلتها وتشربتْ من سُمومِها ، ذلك لأن الاسلام عقيدة ينبثق منها شريعة تتمثل في تكوين الشخصية الْاسْلامِيَّة عقليةً ونفسيةً وميولاً ، ومن ثمَّ فَإِنَّ اللهَ لا يقبلُ من قوم أعمالهم الا إذا صحَّتْ عقيدتهم وصفتْ كلمةُ الْتَوْحِيد في نفوسِهم .

فكلمة الْتَوْحِيد أن تصححَ الأُمَّةُ عقيدتها بلا نفاق ولا رياء فَإِنَّ الله لا ينظرُ الى صورِكم وأموالِكم ولكن ينظرُ الى قلوبكم وأعمالكم .

كلمة الْتَوْحِيد أن تسعى الأُمَّةُ الى شرع الله ، قَالَ تَعَالَى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[1] .فليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله ...الا بحكم الله ورسوله

كلمة الْتَوْحِيد أن تصرف الأُمَّة العبادة كلها لله تَعَالَى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِين) [2].

([1]) النساء : 65

([2]) الأنعام : 162

كلمة الْتَوْحِيد أن تنصرَ الْمُسْلِمين في كُلِّ مكان في فِلَسْطِين وغيرها من بلاد الاسلام نَصْرة باللسان والسنان .

كلمة الْتَوْحِيد أن تحقق الأُمَّة مبدأ الولاء والبراء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراء من الشرك ومن المشركين ، وتطبق عمليا قول الحق تَعَالَى : (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْدُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) [3].وقوله تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) [4]وقول رَسُوْل الله ﷺ : (أوثق عرى الايمان الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله) [5].

المحور الثاني: توحيد الكلمة؛ من التفرق إلى الاجتماع على الحق

إذا كانت كلمة التوحيد أساس بناء الإنسان، فإن توحيد الكلمة من أهم أسباب اجتماع الأمة على مسؤولياتها.

قال الله تعالى:﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103].وقال سبحانه:﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

إن التفرق يبدد الطاقات، ويستهلك الجهود في الخصومات، ويحوّل الاختلافات إلى حواجز تمنع التعاون على المصالح المشتركة.

وقد تختلف الآراء والاجتهادات، وتتعدد الوسائل والتقديرات، لكن الاختلاف لا ينبغي أن يتحول إلى عداوة، ولا أن يمنع التعاون فيما نتفق عليه من نصرة المظلوم، وإغاثة المحتاج، والدفاع عن الحقوق بالوسائل المشروعة.

وتوحيد الكلمة لا يعني إلغاء الاجتهاد، أو إجبار الناس على رأي واحد في كل مسألة، أو السكوت عن الخطأ؛ بل يعني أن نعرف كيف نختلف دون أن نتنازع، وكيف نتعاون دون أن نتطابق في كل شيء، وكيف نقدم الحق والمصلحة العامة على العصبية والحسابات الشخصية.

([3]) آل عمران : 28

([4]) آل عمران : 118

([5]) رَوَاهُ الْطَبَرَانِي (215/11) ،والبغوي في شرح السنة (40/1) ، وسنده ضعيف ، ولكن للحديث شواهد تقوى بها منها ما رَوَاهُ الطيالسي (23/1) وذكر الألباني جملة من الشواهد في السلسلة ال صَحِيحه حديث (999) ، وصَحِيح الجامع (323/2) رقم (2536) .

ومن المؤسف أن تتحول بعض جهود نصرة فلسطين إلى ساحات للتخوين والتراشق، أو أن ينشغل العاملون بتسفيه بعضهم بعضًا بدل تنسيق أعمالهم، أو أن تضيع المبادرات بسبب التنافس على الظهور والزعامة.

فما أحوجنا إلى أن نسأل أنفسنا: هل نريد أن نثبت أننا على صواب، أم نريد أن نحقق نفعًا حقيقيًا لأهل فلسطين؟ وهل نستثمر خلافاتنا في تصحيح المسار، أم نجعلها سببًا لتعطيل العمل؟

إن وحدة الكلمة لا تُبنى بالخطب وحدها، بل تحتاج إلى الثقة، والصدق، واحترام التخصص، وتوزيع المسؤوليات، والشفافية، والقدرة على حل الخلافات.

وقد تتنوع الجهود بين الإغاثة والتعليم والإعلام والعمل القانوني والتربوي، وهذا التنوع يمكن أن يكون مصدر قوة إذا جمعه هدف مشروع، ونظمته قواعد واضحة، وحفظته الأخلاق والضوابط الشرعية.

فالطريق إلى القدس لا يحتاج إلى أمة تتفق في كل جزئية، بقدر ما يحتاج إلى أمة تعرف ما يجمعها، وتحسن إدارة اختلافها، وتتعاون على الحق والخير.

ولا كرامة للأمة إلا إذا وحَّدَتْ صَفَّهَا ونزعت هذه الفرقة من قلوبها وحققت معنى الأخوة الايمانى فإن رابطة العقيدة هى أعظم رباط وهى أوثق صلة ، بدونها لا يمكن أبداً أن يحترم العالم كله هذه الأمة التي تبعثرت كتبعثر الغنم فى الليلة الشاتية الممطرة .

المحور الثالث: الإعداد؛ الأخذ بأسباب القوة والتمكين

من الأخطاء أن نتصور أن صدق المشاعر وحده يكفي لتحقيق الأهداف، أو أن كثرة الدعاء تغنينا عن التخطيط، أو أن رفع الشعارات يعوض ضعف العلم والمؤسسات والقدرات.

إن سنن الله في الحياة تقتضي الأخذ بالأسباب، والعمل والصبر، وإعداد ما نستطيع من قوة نافعة ومشروعة.قال الله تعالى:﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

تدل الآية على مشروعية الإعداد بحسب الاستطاعة، لكن الإعداد لا يُختزل في جانب واحد؛ فالأمة تحتاج إلى القوة العلمية والاقتصادية والتقنية والإعلامية والتربوية والمؤسسية، وإلى القدرة على حماية الناس وإغاثتهم، وصيانة حقوقهم، وبناء مستقبلهم.

أولًا: الإعداد العلمي والمعرفي

الأمة التي لا تعرف واقعها، ولا تفهم تاريخ قضيتها، ولا تميز بين الحقيقة والشائعة، يصعب عليها أن تحسن تقدير المواقف.

لذلك نحتاج إلى دراسة تاريخ فلسطين، ومعرفة مكانة القدس والمسجد الأقصى، وفهم قضية الأرض والحقوق واللاجئين، ومتابعة الوقائع من مصادر موثوقة، والتمييز بين الحقائق والتحليلات والتوقعات.

كما نحتاج إلى تعليم أبنائنا التفكير النقدي، وتوثيق المعلومات، ومواجهة التضليل، حتى لا تتحول عاطفتهم إلى مجال يستغله أصحاب المصالح.

ثانيًا: الإعداد التربوي والأخلاقي

القوة التي لا تضبطها الأخلاق قد تتحول إلى أداة ظلم، والعلم الذي لا تصحبه الأمانة قد يتحول إلى وسيلة تضليل.

لذلك نحتاج إلى بناء أجيال تجمع بين الإيمان والعلم، وبين الشجاعة والحكمة، وبين الحماسة والانضباط، وبين الدفاع عن الحقوق واحترام كرامة الإنسان.

ثالثًا: الإعداد الاقتصادي والمؤسسي

من الإعداد أن نبني مؤسسات موثوقة، وننظم العمل الخيري، ونحسن إدارة الموارد، وندعم التعليم والصحة والإغاثة، ونستثمر الخبرات والطاقات، ونقيم برامج طويلة الأمد بدل الاكتفاء بالمبادرات الموسمية.

فالمجتمع القادر على تنظيم موارده، وإدارة أمواله بشفافية، وتطوير علومه ومؤسساته، يكون أقدر على الاستجابة للأزمات ومساندة المحتاجين.

رابعًا: الإعداد الإعلامي والتقني

نحتاج إلى إعلام مهني يوثق الحقائق، ويعرض القضية بلغة يفهمها العالم، ويكشف التضليل بالحجة، ويحفظ كرامة الضحايا، ولا يضحي بالمصداقية من أجل الانتشار.

كما نحتاج إلى توظيف التقنية في التعليم والتوثيق والترجمة وإدارة المبادرات وتنسيق المساعدات، بما يخدم الأهداف الإنسانية المشروعة.

خامسًا: الإعداد للقوة المشروعة

الإعداد للقوة في التصور الشرعي ليس اندفاعًا فرديًا، ولا تصرفًا عشوائيًا، ولا تجاوزًا للأحكام والضوابط؛ بل هو مسؤولية تحتاج إلى أهلية وعلم وحكمة، ومراعاة للمآلات، والتزام بالشرع والمسؤوليات العامة.

ولا يجوز أن تُتخذ الآية ذريعة لتبرير الاعتداء على الأبرياء أو تجاوز الضوابط الشرعية والقانونية.

إن الإعداد الحقيقي يبدأ بما نستطيعه في واقعنا: نبني الإنسان، ونقوي المؤسسات، ونطور المعرفة، ونحسن الاقتصاد، ونحفظ الحقوق، وننظم الجهود، ونعد الأجيال لتحمل المسؤولية.

فالطريق إلى القدس ليس أمنية تنتظر تحققها، بل مسؤولية تستدعي إعدادًا طويل النفس، يأخذ بأسباب القوة في ميادين الحياة كلها.

المحور الرابع: الجهاد؛ بذل الوسع في نصرة الحق وفق المنهج الشرعي

حين نتحدث عن الطريق إلى القدس، لا بد من الحديث عن الجهاد، مع ضرورة فهمه في ضوء النصوص الشرعية وضوابطها، بعيدًا عن الاختزال أو التوسع غير المنضبط في إطلاق الأحكام.

والجهاد في أصله يدل على بذل الجهد والوسع، وتتنوع صوره وأحكامه بحسب المجال والقدرة والظروف والأدلة الشرعية. ومنه مجاهدة النفس على الطاعة، والجهاد بالعلم والبيان، وبذل الجهد في نصرة المظلومين، وغيرها من الصور التي بينها الشرع.

قال الله تعالى:﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: 78].

وقال سبحانه:﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52].

وقد وردت الآية الثانية في سياق مجاهدة المشركين بالقرآن، وفي ذلك دلالة على عظمة الجهاد بالبيان والحجة في موضعه.

أولًا: الجهاد يبدأ ببناء الإنسان ومجاهدة النفس

من لا يستطيع ضبط لسانه عن الكذب والغيبة، أو لا يحفظ الأمانة، أو يظلم من حوله، يحتاج إلى أن يبدأ بإصلاح نفسه وأداء حقوق الآخرين.

ومجاهدة النفس لا تلغي مسؤوليات الأمة الأخرى، لكنها من بناء الإنسان الذي يستطيع حمل المسؤولية بإخلاص وانضباط.

ثانيًا: الجهاد بالعلم والبيان والعمل النافع

من صور بذل الجهد في نصرة الحق: تعليم الناس، وتوثيق الوقائع، ومواجهة التضليل، وإغاثة المحتاجين، والدفاع عن الحقوق بالوسائل المشروعة، وبناء المؤسسات التي تحفظ حياة الناس وكرامتهم.

وهذه المجالات تحتاج إلى تخصص وإتقان وصبر، ولا يجوز التقليل من شأنها لمجرد أن أثرها لا يظهر سريعًا.

ثالثًا: الجهاد المسلح له أحكامه وضوابطه

الجهاد المسلح في الفقه الإسلامي باب له أحكامه وشروطه وتفصيلاته، ولا يصح أن يُختزل في الحماسة أو أن يقرر الأفراد من تلقاء أنفسهم ما يترتب عليه من أعمال ونتائج.

وتبقى حرمة الاعتداء على الأبرياء، ووجوب مراعاة أحكام الشرع، ومسؤولية النظر في العواقب، أمورًا لا يجوز إهدارها باسم نصرة قضية عادلة. كما لا يصح إطلاق حكم واحد على كل صورة أو ظرف دون النظر في شروط المسألة وتفاصيلها.

والمقصود هنا أن الحديث عن الجهاد ينبغي أن يكون حديثًا عن منهج شرعي منضبط، لا عن اندفاع غير محسوب، ولا عن استباحة للمحرمات.

رابعًا: الجهاد يحتاج إلى إخلاص وعلم وصبر

قد يملك الإنسان حماسة صادقة، لكنه يخطئ في تقدير الوسيلة؛ وقد يتخذ موقفًا يظنه نافعًا، ثم يتبين أن عواقبه أضرت بمن أراد نصرتهم.

لذلك لا بد من اجتماع النية الصالحة، والعلم، وصواب الوسيلة، وحسن تقدير العواقب.

فنصرة القدس لا تكون بمجرد إطلاق الكلمات الكبيرة، بل ببذل الوسع في عمل مشروع، منضبط بالشرع، يحقق مصلحة معتبرة، ويحفظ الحقوق والكرامة الإنسانية.

المحور الخامس: الدعاء والتوكل؛ صلة القلب بالله مع الأخذ بالأسباب

قد يأخذ الإنسان بالأسباب، ويخطط، ويعمل، ويبذل جهده، لكنه يظل محتاجًا إلى ربه في كل خطوة. فالقوة وحدها لا تضمن النتائج، والعلم وحده لا يحيط بكل شيء، والإنسان مهما بلغت قدرته يبقى عبدًا فقيرًا إلى الله.

ومن هنا تأتي منزلة الدعاء والتوكل.

قال الله تعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60].

وقال سبحانه:﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 23].

الدعاء عبادة وافتقار، نلجأ فيها إلى الله أن يفرج عن أهل فلسطين، ويرفع الظلم عنهم، ويحفظ المدنيين، ويشفي الجرحى، ويرحم الموتى، ويطعم الجائعين، ويؤوي المشردين، ويهدي إلى ما فيه خير الناس وصلاحهم.

لكن الدعاء لا يعني ترك العمل، كما أن العمل لا يعني الاستغناء عن الله.

قال النبي ﷺ:احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ» رواه مسلم.

يجمع هذا التوجيه النبوي بين ثلاثة معانٍ عظيمة: الحرص على النافع، والاستعانة بالله، ورفض العجز والاستسلام.

فالمؤمن يبحث عن العمل النافع، ويأخذ بأسبابه، ويستعين بربه، ولا ييأس إذا تأخرت النتائج.

ومن الخطأ أن نجعل الدعاء بديلًا عن إغاثة المحتاج حين نستطيع إغاثته، أو عن التعلم حين نستطيع التعلم، أو عن إصلاح الخلل حين نستطيع إصلاحه. كما أنه من الخطأ أن نتصور أن النجاح كله ثمرة قدراتنا وحدها، فننسى فضل الله وتوفيقه.

والدعاء ليس صيغة واحدة نعتقد وجوبها دون دليل؛ بل يدعو المسلم بما تيسر من الدعاء المشروع، ويسأل الله الخير والفرج والرحمة والنصر ورفع الظلم.

فالطريق إلى القدس يحتاج إلى قلب موصول بالله، وعقل يحسن التدبير، وجوارح تعمل، ونفس لا تستسلم لليأس.

المحور السادس: الإخلاص وصحة العمل؛ حتى لا تذهب الجهود سدى

قد يبذل الإنسان جهدًا كبيرًا، وينفق مالًا، ويتحدث طويلًا، ويشارك في مبادرات متعددة؛ لكن يبقى السؤال: هل كان عمله خالصًا لله؟ وهل كان صحيحًا في منهجه؟ وهل حقق نفعًا حقيقيًا؟

إن كثرة العمل وحدها ليست دليلًا على قبوله، كما أن حسن النية وحده لا يصحح كل وسيلة.

قال الله تعالى:﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].

وقال سبحانه:﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

وقال النبي ﷺ:إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» متفق عليه.

أولًا: الإخلاص وتصحيح النية

ينبغي أن تكون نصرتنا للحق ابتغاء مرضاة الله، لا طلبًا للشهرة أو التصفيق أو تحصيل المكانة بين الناس.

فقد يعمل الإنسان عملًا نافعًا، ثم تفسده آفة الرياء أو المنّ أو استغلال حاجة الآخرين؛ ولذلك يحتاج العاملون في كل مجال إلى مراجعة نياتهم وتجديد إخلاصهم.

ثانيًا: صحة المنهج والوسيلة

لا يكفي أن نقول إن هدفنا نصرة فلسطين، ثم نبرر كل وسيلة نستخدمها. فالأهداف المشروعة ينبغي أن تُطلب بوسائل مشروعة.

ولا يجوز أن نبرر الكذب بحجة نصرة الحق، أو الاعتداء على الأبرياء بحجة الانتقام من الظالم، أو استغلال التبرعات بحجة دعم القضية، أو نشر الشائعات بحجة رفع المعنويات.

فالصدق أمانة، وأموال الناس أمانة، ودماء الأبرياء وحقوقهم أمانة.

ثالثًا: حسن التدبير ومراجعة النتائج

قد يكون الإنسان مخلصًا، لكنه يخطئ في التخطيط أو التقدير؛ لذلك يحتاج العمل إلى معرفة وخبرة ومراجعة.

ومن واجب المؤسسات أن تسأل: هل وصل الدعم إلى مستحقيه؟ هل حقق البرنامج هدفه؟ هل أُنفقت الأموال في مواضعها؟ هل تسببت الوسيلة المختارة في أضرار كان يمكن تجنبها؟ وما الذي ينبغي تغييره مستقبلًا؟

إن مراجعة النتائج ليست ضعفًا في الإيمان، بل من الأخذ بالأسباب وتحمل المسؤولية.

رابعًا: الصبر والاستمرار

قد لا تظهر نتائج العمل في أيام أو أشهر، وقد تتعثر المبادرات، وتقل الموارد، وتضعف الحماسة. وهنا تظهر قيمة الصبر والعمل المنظم.

فلا ينبغي أن نتوقف لأن الأثر لم يظهر سريعًا، ولا أن نكرر الأخطاء لمجرد أننا بدأنا بها، بل نصبر على الطريق، ونصحح الوسائل، ونحافظ على الأمانة، ونتعاون على ما نستطيع.

إن العمل الذي نرجو قبوله يحتاج إلى إخلاص النية، وصحة المنهج، وبذل الأسباب، ومراجعة النتائج، والصبر على الاستمرار.

الخاتمة: كيف نجعل الطريق إلى القدس منهج حياة؟

لقد سألنا في بداية هذه المحاضرة: كيف الطريق إلى القدس؟

والجواب أن الطريق ليس كلمة واحدة، ولا وسيلة منفردة، ولا حماسة عابرة؛ بل هو منهج متكامل يبدأ بكلمة التوحيد، ويتعزز بتوحيد الكلمة، ويحتاج إلى الإعداد والأخذ بأسباب القوة، ويتجسد في بذل الوسع في نصرة الحق بالوسائل المشروعة، ويستمد العون من الدعاء والتوكل، ويحفظ العمل من الضياع بالإخلاص وصحة المنهج.

فلا يكفي أن نحب القدس إن لم نتعلم ما يتعلق بها، ولا يكفي أن نتعلم إن لم نترجم علمنا إلى عمل، ولا يكفي أن نعمل إن لم نتعاون ونتقن ونراجع نتائجنا، ولا يكفي أن نأخذ بالأسباب إن نسينا الاستعانة بالله.

وليس مطلوبًا من كل واحد منا أن يقوم بكل شيء، لكن المطلوب ألا يتخلى عما يستطيع القيام به.

فمن استطاع أن يعلم فليعلم، ومن استطاع أن يتبرع عبر جهة موثوقة فليتبرع، ومن امتلك خبرة فليوظفها في الخير، ومن استطاع أن يوحد الجهود فليعمل على ذلك، ومن استطاع أن يدعم التعليم أو الإغاثة أو التوعية أو التوثيق فليؤدِّ ما يقدر عليه.

ولنحاسب أنفسنا بثلاثة أسئلة:

أولًا :ما الذي أحتاج إلى إصلاحه في إيماني وسلوكي حتى أكون أقدر على حمل المسؤولية؟

ثانيًا :ما العمل النافع الذي أستطيع القيام به في موقعي، وكيف أتعاون مع غيري لإنجازه؟

ثالثًا :هل أعمل بإخلاص، وبوسيلة مشروعة، وبخطة قابلة للاستمرار، أم أكتفي بالحماسة والشعارات؟

أيها الأحبة،

إن القدس ليست مجرد اسم نستحضره في مواسم الحزن، وفلسطين ليست خبرًا نتابعه ثم ننصرف عنه؛ بل هما قضية تستدعي منا وعيًا راسخًا، وإيمانًا صادقًا، وعملًا منظمًا، وتعاونًا على البر والتقوى، وصبرًا على الطريق.

ولا نملك أن نحدد متى تتحقق النتائج، ولا أن نزعم أن عملًا بعينه يضمن النصر؛ لكننا نملك أن نؤدي ما نستطيعه من واجب، وأن نأخذ بالأسباب، وأن نراجع أخطاءنا، وأن نتمسك بالحق والعدل، وأن نستعين بالله ولا نعجز.

نسأل الله تعالى أن يفرج عن أهل فلسطين، وأن يرفع الظلم عنهم، وأن يحفظ المدنيين والأبرياء، ويرحم موتاهم، ويشفي جرحاهم، ويفك أسر المأسورين، ويؤوي المشردين، ويطعم الجائعين، ويجبر قلوب الثكالى والأيتام.

ونسأله سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، ويؤلف بين قلوبهم على الحق، ويرزقهم العلم النافع والعمل الصالح، ويعينهم على أداء مسؤولياتهم، ويجعلنا من أهل الصدق والإخلاص والحكمة، وألا يجعل عاطفتنا تجاه فلسطين مشاعر تنقضي، بل يجعلها دافعًا إلى الخير والعمل النافع.

اللهم اهدنا لأحسن الأقوال والأعمال، ووفقنا لما تحب وترضى، وأعنا على نصرة المظلومين بالحق والعدل، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، موافقة لشرعك، نافعة لعبادك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الدكتور محمد عبد الغني